التوسع العمراني بالأراضي الهامشية

حول المراكز الحضرية بإقليم مصراته

أ.عبد السلام محمد الحشاني

جامعة المرقب

أولاً : نبذة تاريخية عن إقليم سهل مصراتة

يتمثل إقليم مصراته بالشمال الغربي من ليبيا بالمنطقة الساحلية المحادية للبحر المتوسط بساحل يقدر طوله بحوالي 170 كم يضم الإقليم ثلاث مدن رئيسية هي من الغرب إلى الشرق الخمس وزليتن ثم مصراتة.

في السابق تركزت المظاهر الحضرية والأنشطة الخدمية بشكل خاص في المدن الثلاث سابقة الذكر ولم يتجاوز التوسع العمراني سواها كما أنها كانت تتميز بوجود ظهير زراعي يوفر لها زخماً كبيراً من إحتياجاتها الغذائية والتجارية.

اشتهر الإقليم بزراعة الحبوب (القمح والشعير) وإنتاج زيت الزيتون وأشجار النخيل والكروم والخضر فهي جزء هام من الشمال الافريقي الذي عرف قديماً بمخزن حبوب روما زمن الأمبراطورية الرومانية.

قديماً ساهم التوافق العفوي بين الزيادة السكانية القليلة والإمكانيات الطبيعية والبشرية المحدودة لظهير الإقليم حول مدنه الثلاث إلى التوازن البيئي الذي أدى إلى الإستقرار العمراني لتلك المدن فترة من الزمن استمرت مئات السنين لكن وثيرة التمدين السريعة أظهرت مراكز حضرية أخرى وبؤر إستيطانية جديدة التهمت أفضل الاراضي المنتجة ولم ينته الامر عند ذلك وحسب بل توسعت تلك المراكز حتى إتصلت ببعضها فزادت رقعة المخططات المقترحة من قبل الاقسام الفنية الهندسية لبلديات الإقليم فانتشرت الخدمات التعليمية والصحية والمصرفية وطرق المواصلات والنقل هنا وهناك لكنها بمحدودية ضيقة دونما خطة مستقبلية متطورة بل جاءت بصورة شبه عشوائية لحل أزمات وقتية من حيث الخدمات ليس إلاّ.

وهكذا ظهر نمط ثالث مختلف، إذ لم تتطور المدن الثلاث ضمن مجالات مخطط لها سلفاً بل أخد كل مركز حضري يتوسع بشكل منفصل على حساب الأراضي الهامشية من حوله.

ربما كانت مخططات المدن الرئيسية بالإقليم ضيقة الأفق لم تستوعب الطاقة الكمية المتصاعدة لسكانها فاختارت الأجيال الجديدة التوسع بالمراكز الحضرية الجديدة غير مبالين بانحسار الأراضي المنتجة فعدم قدرة تلك المدن على استيعاب متطلبات الزيادات الهائلة للسكان الذين تعودوا مستواً معيشياً جيداً يتطلب مجاورة المرافق والمؤسسات المدنية الحديثة كالتعليم العالي والرعاية الطبية ورياض الاطفال والمحلات التجارية.

فالمتنقل عبر الطريق الساحلي الواصل بين المدن الثلاث لاتنقطع عيناه عن رؤية المرافق والمؤسسات الخدمية والتجمعات السكنية تكتلفها نطاقات متباينة من المساحات الخضراء فلم يعد من السهل تحديد تلك المناطق ما إذا كانت مدنية أم ريفية.

يتناول هذا البحث عرض موجز عن الاحوال الحضرية والريفية لهذا الإقليم قديماً وحديثاً مع التعرض للمشكلات والتعقيدات الناجمة عن هذه الوضعية المتشابكة وما العلاجات الواجب إتباعها مستقبلاً إزاء ما سبق.

ثانياً : الموقع الجغرافي والفلكي لإقليم مصراته

يقع إقليم مصراتة في المنطقة الساحلية المحادية للبحر المتوسط بالشمال الغربي من ليبيا يحده من الغرب النهايات الشمالية لمرتفعات نفوسه عند رأس المسن المتقدم في البحر وأجزاء من مناطق مسلاته وترهونه.

كما يحده من الشرق سبخات تاورغاء أما الجنوب فيحد الإقليم نطاق شبه صحراوي لمنطقة بن وليد.

والإقليم يقع فلكياً ضمن المنطقة المعتدلة الدفيئة فيما بين دائرتي عرض (55ˉ 31^0) (40– 032) وبين خطي طول (14– 014)، (22– 015) وتقدر مساحته حوالي (6367) كم2.

ثالثاً : الاوضاع الحضرية للإقليم حالياً

أولاً: مدينة الخمس

كانت مدينة الخمس الواقعة على السفوح الشرقية لجبل المرقب المطل على البحر المتوسط المركز الحضري الوحيد بالجهه الغربية الذي يضم مختلف أصناف المؤسسات والمرافق الخدمية إضافةً إلى المنشآت التعليمية والصحية بها سينما ومركز راقٍ للبريد والإتصالات.

يقدر عدد سكانها حتى عام 1995 ف بحوالي (117811) نسمة وقطر محيطها الحضري المتمدين لا يتجاوز (4) كم^2 تقريباً. يجاورها من الشرق والجنوب مدينة لبدة الآثرية كذلك المزارع والبساتين الكثيفة بأشجار الزيتون والنخيل ومحاصيل الحبوب والخضر. حيث استطاع هذا الظهير أن يعول سكان المدينة حقبةً من الزمن بما يحتاجونه من الغذاء ومتطلبات الانشطة التجارية والصناعية.

لكن الزيادة السكانية الهائلة والتغيرات الديمغرافية وحاجتها الملحة لمزيد من الخدمات والمتطلبات المعيشية المواكبة للعصر أظهرت بؤراً عمرانية جديدة لا هي بالبعيدة عن مدينة الخمس ولاهي إمتداداً لها وإتساعاً. ومن تلك المراكز العمرانية:

بلدة سوق الخميس الواقعة شرق مدينة الخمس بحوالي إثنى عشر كيلومتراً وبلدة الخمس الجديدة التي تبعد عن المدينة بحوالي (30) كم جنوب الطريق الساحلي إضافةً إلى بلدات أخرى صغيرة مثل قوقاس وزنبرة قرب ميناء الخمس الجديد فقد تتابع ظهور المباني والمرافق العامة متجاوزاً الحدود الفنية والهندسية لمخططات تلك المراكز على حساب الأراضي الهامشية والزراعية المجاورة.

وقد تنبهت ثورة الفاتح العظيمة إلى الإحتياجات المتزايدة للسكان فأسعفت أوضاعهم بالعديد من الإنجازات الحضارية بتلك المخططات الحضرية المحدودة داخل نطاقات الأراضي الزراعية والرعوية كحلول عاجلة فرضت نفسها في غياب تخطيط سابق مبني على أصول هندسية مرتبطة بجغرافية المدن. فأقامت الثورة العديد من المنشآت والمؤسسات التي توفر الخدمات الحضارية للسكان بغية عدم احتكار تلك الخدمات في مراكز حضرية معينة.فظهرت بمدينة الخمس والمجاورات الحضرية الجديدة العديد من الكليات الجامعية والمعاهد العليا وتجمعات سكنية وأخرى إدارية على طراز راق من الهندسة المعمارية. حيث امتزجت هذه المظاهر الحضارية الحديثة في قالب ريفيّ.

ثانياً: مدينة زليتن

تقع إلى الشرق من مدينة الخمس بحوالي (40) كم تقدر مساحتها بحوالي (15) كم^2 أنشأها الإغريق عام 515 ق.م. يذكر هيرودوت أن مغامراً إغريقياً يدعى (دوريرس) حاول مع من معه إقامة مستوطنة حول نهر كينوب (كنبس) وهو المعروف اليوم بوادي كعام سنة 515 ق.م غير أن القرطاجيين تمكنوا من طردهم بمعاونة الليبيين ثم إعيد بناء زليتن بإسم (سنبسا) وكانت تدعى (شنيبس) ثم طورها الرومان على الطريق القديم بين الشرق وقرطاجة على مسافة ليست بعيدة من البحر.

ولكثرة أشجار التين المحيطة بالمدينة صارت تدعى (ظل التين) ثم ظلليتن أو زليطن وأخيراً زليتن. وقد أصبحت ذات مركز ديني مند سنة 1573 ف حيث دفن بها الشيخ الصوفي عبدالسلام الأسمر وبنيت بها العديد من الزوايا والتكايا لحفظ القرآن الكريم وتعليم فقه اللغة والدين. ظلت لفترة من الزمن تستوعب مؤسساتها المصرفية والتعليمية والصحية والإدارية والتجارية كافة سكان ظهيرها الزراعي والمجاورات الريفية حولها بإمتداد شعاعي نصف دائري يتراوح ما بين خمسة عشر كيلومتراً إلى حوالي ثلاثين كيلومتراً غير أنه في ظل الضغط الخدمي المتزايد والزيادة السكانية المتنامية قامت الدولة داخل البؤر العمرانية الناشئة والقرى الصغيرة المتناثرة بإنشاء الكثير من المرافق الخدمية والصحية والمؤسسات التعليمية كما توسعت التجمعات السكانية والمحال التجارية والخدمية كالورش وغيرها خارج نطاق المخطط العام للمدينة ملتهمةً أفضل الأراضي الزراعية حولها.

وقد ظهرت نتيجة لذلك مراكز عمرانية جديدة وضعت لها البلدية مخططات هندسية صغيرة نسبياً لإحتواء البؤر السكانية الجديدة داخل مساحات محدودة حيث عملت الدولة على عدم التوسع العمراني خارجها لتفادي المساس بالأراضي الهامشية والزراعية المحيطة بها التي تشكل الأمن الغذائي لها والإمتداد التجاري والصناعي لسكانها ومن تم نشأت مراكز حضرية متفرقة حول مدينة زليتن تظهر خليطاً جديداً بين الريف والمدنية وأهم تلك المراكز الحضرية الزاحفة على الآراضي الزراعية هي:

- ❖ الفرع الغربي بمنطقة الجمعة (شهداء كعام).
- ❖ الفرع الشرقي (سوق الثلاثاء).
- ❖ بلدة ماجر.

احتوت هذه التجمعات البشرية رغم طابعها الريفي ووقوعها داخل بيئة زراعية ورعوية العديد من المظاهر الحضارية العمرانية الراقية شكلاً ومضموناً ومن ذلك العديد من المستشفيات ومراكز تعليم الحاسوب وبعض الكليات الجامعية والمعاهد العليا فلم تعد تتميز بطابع واضح فواقعها البيئي والبشري يغلب عليه الطابع الريفي البدوي وماهو قائم وجديد يغلب عليه طابع المدنية أو التمدين. ومن الجداول (1) و (2) و (3) تبين إن حجم إستخدامات الأرض بمدينة زليتن خلال سنة 1966 ف ومنه نلاحظ مساحة الإنتشار العمراني الذي لم يبلغ سوى مساحة قدرها حوالي (63.7) هكتار آنذاك، في حين كان الباقي أراضٍ زراعية ورعوية خضراء. كما

يبين الجدولان (2) و (3) مدى التوسع العمراني بين سنتي 1980 و 2000 حسب المتوقع، حيث ‘زدادت المساحة المشغولة بالعمران من (349.4) هكتار سنة 1980 ف إلى حوالي (2154.6) هكتار.

إن الزيادة السكانية لم تكن وحدها المسؤولة عن التوسع العمراني بالإقليم، بل هناك عوامل أخرى كالأنشطة التجارية والصناعية زحفت بأبنيتها غير القانونية على ماتبقى من الأراضي. ومن خلال زيارة العديد من مكاتب الشرطة الزراعية تبين ضبط مئات المخالفات والكثير من التجاوزات من ذلك النوع. أحيل منها للقضاء أكثر من (200) قضية في فترة وجيزة تقل عن سبع سنوات (1992 – 1999).

ومن مقارنة الصور الفضائية القديمة والحديثة لقطاع من أراضي الإقليم بمساحة قدرها حوالي (1680) كم^2 تبين أن الزحف العمراني قد زاد عام 1996 بما نسبته (56 %) تقريباً عما كان عليه سنة 1987.

جدول رقم (1)

إستخدامات الأرض القائمة لمدينة زليتن خلال عام 1966 ف(•)

نوع الاستخدام الحضري	المساحة بالهكتار	النسبة المئوية %
مناطق سكنية	40.6	46.5
مناطق تجارية	5.7	6.5
مناطق صناعية	0.9	1.0
مرافق عامة	5.4	6.1
شوارع	11.1	12.7
مناطق فضاء	24.3	27.2
المجموع	88.0	100

(•) الجماهيرية، بلدية زليتن، أمانة المرافق، شركة بولسيرفس البلندية، تقرير المخطط الشامل للتطوير لسنة 2000، رقم ط ن – 53، زليتن.

جدول رقم (2)

الاستخدامات الحضرية لمدنية زليتن خلال عام 1980 ف [•]

نوع الاستخدام الحضري	المساحة بالهكتار	النسبة المئوية %
استخدامات سكنية	184.0	52.6
استخدامات تعليمية	28.2	8.1
استخدامات صحة وضمان اجتماعي	10.1	2.9
استخدام المرافق الدينية والثقافية	12.1	3.5
استخدامات التسويق والأعمال	9.1	2.6
الاستخدامات الرياضية والترفيهية	11.8	3.4
استخدامات الإدارة والخدمات	3.3	0.9
استخدامات الصناعة والبناء والتخزين	16.0	4.6
استخدامات النقل والمواصلات	63.2	18.1
استخدامات المنافع العامة	11.6	3.3
المجموع	349.4	100

جدول رقم (3)

[•] الجماهيرية، أمانة المرافق، زليتن، المخطط الشامل 2000، مصدر سابق.

الاستخدامات الحضرية لمدينة زليتن خلال عام 2000 ف (•)

نوع الاستخدام الحضري	المساحة بالهكتار	النسبة المئوية %
إستخدامات زراعية وسكنية	1092.0	50.6
استخدامات سكنية	334.0	15.6
استخدامات تعليمية	102.8	4.8
استخدامات الصحة والضمان الاجتماعي	36.1	1.7
استخدامات المرافق الدينية والثقافية	23.4	1.1
استخدامات التسويق والأعمال	32.7	1.5
الاستخدامات الرياضية والترفيهية	126.3	5.9
استخدامات الإدارة والخدمات	14.1	0.4
استخدامات الصناعة والبناء والتخزين	79.7	3.7
الخدمات الزراعية	14.0	0.8
استخدامات النقل والمواصلات	278.8	13.0
استخدامات المنافع العامة	19.7	0.9
إجمالي المساحة الحضرية	2154.6	100
استخدامات زراعية داخل المدينة	23.0	-
الأحزمة الخضراء والمواجهة البرية	130.4	-
مواقع أثرية	2	-
إجمالي مساحة المدينة	2310.0	-

(•) الجماهيرية، أمانة المرافق، زليتن، المخطط الشامل 2000، مصدر سابق.

ثالثاُ : مدينة مصراته

كانت في الأساس مدينة رومانية تدعى توباكتس شيدت حوال عام 640 ميلادية تقريباً كانت مركز تجارياً هاماً على الطريق التجاري الذي يربط روما بالمستعمرات الافريقية.عرفت قديماً بإسم ذات الرمال أما إسمها الحديث (مصراته) فقد جاءت قبيلة بربرية هي بطن من قبيلة لواته كانت تدعى مسراته أشتهرت في العصور الوسطى بتجارتها مع جينوة والبندقية بالصوف والزيوت والبضائع التي كانت ترد إليها من إفريقيا الوسطى. وقعت بعد سنة 1860 ف تحت حكم الاتراك الذين قاموا بتوسيعها في الاتجاه الغربي كما تم بناء عدد من المباني الادارية والسوق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ثم وقعت المدينة تحت سيطرة الايطاليين خلال الفترة 1912 – 1915 ف وخلال الفترة من 1922 حتى 1943 ف وفي تلك السنوات تم بناء التجمعات السكنية القائمة بالغرب من الكنيسة القديمة وتم بناء عدد من المرافق الاخرى.

تقدر مساحتها بأكثر من (11.164.5) هكتار حيث تضم المؤسسات الرياضية والترفيهية والمرافق الثقافية والدينية والصحية والضمان الاجتماعي ومنشآت الصناعة والتخزين ومباني التسويق والتجارة والجامعات المختلفة وتكاد المدينة أن تكون مرتبطة ومتصلة مع كافة المناطق الحضرية الأخرى لا سيما مع ميناء قصر أحمد الذي يبعد عن مركز المدينة بحوالي ثمانية كيلومترات كما ارتبطت عمرانياً بزاوية المحجوب التي تبعد عنها بحوالي خمسة كيلومترات والتواصل العمراني واضح مع تاورغاء ومنطقة الغيران جنوب مصراته وبالتالي امتزحت التوسعات العمرانية الحديثة وطابعها الخدمي الحديث بالوسط الريفي الذي أحتفظ بأصالته المستمدة من المجتمع الزراعي والرعوي حول المدينة. وترتبط المدينة بعدة مراكز حضرية هي:

- تاورغاء (مشروع تاورغاء الزراعي والقرية).
- زاوية المحجوب (غرب المدينة).
- الغيران والدافنية (جنوب و غرب المدينة).

وقد قدر عدد سكانها سنة 1973 بحوالي (98711) نسمة زاد عام 1984 بنسبة (81.9 %) إلى حوالي (179512) نسمة وفي عام 1995 وصل عدد سكان إلى حوالي (231217) نسمة. أي أن السكان قد إزدادوا بنسبة (134%) عن سنة الأساس 1973. إن هذه النسبة توضح بجلاء مدى الانفجار السكاني الذي يجري بالإقليم، وما يشكل ذلك من ضغط على الأراضي الزراعية والموارد الطبيعية الأخرى

كالمياه والتربة. وقد زاد ذلك من حجم الكثافة السكانية في الإقليم التي قدرت بأكثر من (190) نسمة /كم^2، خلافاً لما أقره مؤتمر الأمم المتحدة للتصحر عام 1977 ف حول الأرقام القياسية التي تحدد الكثافة في المناطق الجافة وشبه الجافة وهي كما وردت بالمؤتمر:

- ☒ (7) نسمة / كم ^{2} في المناطق الجافة.
- ☒ (20) نسمة / كم^2 في الاراضي شبه الجافة.

توضح الجداول (4) و (5) توسع استعمال الأراضي الحضرية لسنتي1980–2000 ف.

ويلاحظ أن الغالبية العظمى من الإمتدادات العشوائية للتجمعات السكنية تتم على الأراضي الزراعية مما يشكل تهديداً خطيراً على الإقتصاد وعلى الرقعة الزراعية. كما تساهم مناطق الإسكان بلا شك في التدهور الحاد للبيئة العمرانية بصفة خاصة وللمدينة بصفة عامة بما تخلفه أكوام القمامة والملوثات الصلبة والسائلة.

إن الإنعكاسات والتأثيرات المتبادلة لمظاهر التدهور العمراني على البيئة والسكان تؤثر على الانسان من حيث تكوينه الشخصي والأسري تأثيراً مباشراً حتى يمكن القول أن المدينة التي نشكلها تعيد تشكيلنا مرة أخرى ووجود عوامل التدهور العمراني بتأثيراتها المختلفة على المدينة العربية تؤدي إلى أن تصبح الصورة الذهنية لبيئة المدينة غامضة ومخيفة.يفقد معها الانسان تعاطفه وتفاعله، وخطورة الموقف تكمن في أنه على الأمد البعيد تتفاقم المشكلات وترتفع تكاليف معالجتها، وإذا فقد الإنسان الأمل في إصلاح مظاهر التدهور العمراني في البيئة التي يعيش فيها يصبح القبح الوظيفي بعدها عرفاً سائداً تتوارثه الأجيال وبالتالي تتولد أجيال لا تعرف للجمال الطبيعي (الريفي) معنى.

جدول رقم (4)

الإستعمال الحضري لأراضي مدينة مصراته عام 1980 ف (•)

نوع إستعمال الأراضي		المساحة بالهكتار	%
البنية الأساسية والإجتماعية	سكنية	1.590	60.9
	تعليمية	70	2.7
	الصحة والضمان الإجتماعي	19	0.7
	المرافق الدينية والثقافية	33	1.3
	التسويق والأعمال	23	0.9
	الرياضة والمناطق الترفيهية	266	10.2
الإدارة والخدمات العامة		15	0.6
الصناعة والتخزين		40	1.5
النقل والمواصلات		495	18.9
المنافع العامة		20	0.8
مناطق خاصة		40	1.5
إجمالي إستعمال الأراضي الحضرية		2.611	100.0
الزراعة		2.500	–
أحزمة عازلة، غابات، ومراكز المياه		7.489	–
المجموع		12.600	–

(•) الجماهيرية، بلدية مصراته، أمانة المرافق، شركة بولسيرفس البلندية، تقرير المخطط الشامل للتطوير لسنة 2000، رقم ط ن – 46، مصراته.

جدول رقم (5)

الإستعمال الحضري لأراضي مدينة مصراته عام 2000 ف (•)

نـوع إستعمـال الأراضـي	المسـاحة بالهكتار	%
سكنية	4.062.0	46.3
تعليمية	519.4	5.9
الصحة والضمان الإجتماعي	171.1	2.0
المرافق الدينية والثقافية	195.9	2.2
التسويق والأعمال	174.0	2.0
المناطق الرياضية والترفيهية	984.8	11.2
الإدارة والخدمات العامة	46.7	0.5
الصنـاعة والتخزين	629.0	7.1
النقل والمواصلات	1.790.0	20.5
المنافع العـامة	200.0	2.3
إجمـالي المنطقة المحضرة	8.772.9	100.0
الأراضي الزراعـية	1.300.0	–
أحزمة عازلة، غابات واجهة بحرية	1.055.6	–
مناطق خاصـة	37.0	–
إجمـالي منطقة المدينة	11.164.5	–

(•) الجماهيرية، أمانة المرافق، مصراته، المخطط الشامل 2000، مصدر سابق.

رابعاً : مظاهر النمط الحضري الجديد لبلديات الإقليم

من أهم المظاهر الواضحة في هذا النمط الجديد من البناء الحضري في معظم حاضرات الإقليم وجود مؤسسات ومنشآت هندسية تتطلب مستقبلاً توسعاً عمرانياً كبيراً كما تفرض واقعاً حياتياً جديداً يميل إلى التمدين أكثر من ميله الريفي الذي يمثله واقع الإقليم. ومن أهم تلك المؤسسات والمنشآت مايلي:

1- قيام منشآت للتعليم العالي كالجامعات والمعاهد العليا تتسم بالبعثرة بين مراكز الإقليم الحضرية.

2- وجود مجمعات إدارية كثيرة للخدمات المختلفة حتى يمكن القول أن هناك مجمعاً إدارياً لكل تجمع سكني وحضري تتبعه بالطبع العديد من مواقف السيارات والمحلات التجارية وأسواق الخضر ومحطات الحافلات.

3- تبدو المراكز الحضرية من حيث الخدمات العامة وشؤون الصحة والتعليم والزراعة والأنشطة الصناعية المختلفة مراكز خدمات شبه مستقلة وبالتالي تقوم مؤسسات ومنشآت ومرافق كل مركز حضري على مبدأ التوسع والزحف العمراني على حساب هوامشها المحيطة بها.

خامساً : أسباب التوسع الحضري وسط أرياف الإقليم

- ☒ تعمل ثورة الفاتح على إتاحة فرصة الخدمات التعليمية للمستوى المتوسط والعالي في كافة البؤر السكانية حيث مبدأ التوسع الأفقي والرأسي وكذلك الخدمات الصحية والترفيهية والأسواق العامة المنظمة المتبوعة بالإنارة والحدائق والميادين.
- ☒ الزيادة السكانية الرهيبة التي لم تستوعبها مدن الإقليم الرئيسية في الخمس وزليتن ومصراته وجدت التوسع العمراني على حساب هوامش المدن متنفساً لها وتجديد لبناء والتشييد على أحدث طراز هندسي.
- ☒ عدم الإبتعاد كثيراً من مراكز المدن الرئيسية لتواصل الخدمات والإرتباط التجاري والصناعي بها ولو كان ذلك على حساب إمكانيات المناطق الريفية حيث إنتاج الأغذية الطبيعية الخضراء.

- ☒ رغبة السكان في وصول الخدمات إليهم وتفادي تكاليف السفر والإقامة في مراكز المدن البعيدة عن مقر سكناهم بالأرياف فأصبحت الخدمات المختلفة في متناولهم بأيسر الطرق.
- ☒ إن وجود أسطول كبير من حافلات النقل الريفي وسيارات الأجرة وشاحنات النقل الضخمة والمتوسطة في ظل وجود شبكة حديثة من الطرق المعبدة المتبوعة بالإنارة وسط أرياف الإقليم ساعدت كثيراً على انتشار مظاهر التمدين إليها وبسرعة متناهية.
- ☒ تحسن المستوى المعيشي بشكل عام لكافة موظفي الإقليم تطلب وجود خدمات صحية وتعليمية وترفيهية وإدارية راقية مدعومة بأحدث وسائل المنظومات التقنية لأجهزة الحاسوب والكمبيوتر داخل هذه البؤر الحضرية وسط هذه الأرياف.

سادساً: المشاكل والتعقيدات المترتبة عن النمط الجديد من المراكز الحضرية الريفية

مما لاشك فيه أننا من يبني المدينة ويشكلها كما يريد لكن الحقيقة المؤلمة أنها تعيد تشكيلنا من جديد مستقبلاً حسب ظروفها ومقوماتها وموجات الصرعات والموضة التي تمر عبرها سواءً من حيث الملابس والأكل وأسلوب الحياة والأخلاق العامة والعلاقات الإجتماعية وعلاقات العمل وغير ذلك من أنماط الحياة. ومما لوحظ في إقليم مصراتة حول هذا السياق إنه يتميز بالآتي:

- ❑ من الأمور الهامة جداً التي ساهمت في وجود هذا النمط الثالث من هذا الخليط بين الحضر والريف داخل مدن الإقليم ومراكزه الحضرية الجديدة ومجتمعاته القروية وغيرها هو أن معظم سكان الإقليم مازالوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم الريفية الأصيلة، لا سيما بعد موجات النزوح من المراعي والأحراش وأراضي الزراعة البعلية التي سحقتها آليات الجفاف والتصحر وما تبقى ابتلعته توسعات المدن فأضطر أهلها للنزوح منها نحو مراكز المدن بحثاً عن حرف جديدة يرتزقون منها بعد أن باعوا قطعانهم وماشيتهم وأراضيهم التي تحولت بعد بيعها إلى مزارع إسمنتية تضم المصانع الصغيرة والورش والمحلات التجارية بأطراف المدن ومن تم سكنوا هذه المدن ونقلوا معهم ثراتهم وأصول حياتهم الرعوية والفلاحية وقد ظهر ذلك من خلال هندسة أبنيتهم التي يقتطعون منها جزءً كبيراً لبناء مخزن للمناسبات الإجتماعية وتخزين الأعلاف والحبوب

ومخزن آخر (حظيرة) لتربية أعداد من الماعز والأغنام رغم صغر المساحات المخصصة للسكن. ولاغرو أن نرى قطعان الأغنام والماعز تتجول بين المحلات التجارية والحدائق العامة بالمدينة وعقب انعقاد الأسواق الشعبية الإسبوعية وغير ذلك من أمور الريف. كما فرضت الأصول الريفية داخل هذه المراكز الحضرية أسواقاً أسبوعية للحيوانات والصناعات التقليدية وعليه فأغلب السكان يحاولون الإحتفاظ بإمكانيات ريفهم الذي تعودوا عليه وعاشوا حياتهم به مع الرغبة بإقتناء وإستغلال إمكانيات الحضارة الحديثة ومن ذلك إنخراطهم في التعليم العالي والخدمات الإدارية المتطورة والعلاج بأرقى وسائل التقنية الراقية والسكن في البيوت الفارهة المكيفة.

- تتطلب المراكز العمرانية بالإقليم الكثير من التوسع ولا يتم ذلك إلاّ على حساب أراضيها الهامشية والمحيطة بها وهذا يتطلب إعادة برمجة المشاريع الإستثمارية بالمدن إضافة إلى جملةٍ من المشاريع الإسكانية.
- لو ألقينا نظرةً على المباني الجامعية بمدن الإقليم لوجدنا أنها تتطلب توسعاً كبيراً حولها مسقبلاً. فكلية الآداب والعلوم التي أتبعها شخصياً تقع داخل مخطط فرعي صغير نسبياً تابع لشعبية المرقب وسط منطقة ريفية تعج بأشجار الزيتون والنخيل حولها وذلك من شأنه تعقيد الإتجاه السائد نحو التمدين والتحضر والرقي بالسلم التعليمي داخل هذه الأرياف في ظل المحافظة على بيئة الإقليم الشجرية.

سابعاً : الخلاصة

يقع إقليم سهل مصراته بالشمال الغربي من ليبيا بالمنطقة الساحلية بين مرتفعات نفوسه في الغرب وسبخات تاورغاء في الشرق إلى الغرب من طرابلس بحوالي مئة كيلومتر. اشتهر الإقليم بمدنه الثلاث الخمس وزليتن ومصراته عبر مر السنين بالإنتاج الزراعي والرعي والتجارة حتى عرف قديماً زمن الأمبراطورية الرومانية القديمة بمخزن حبوب روما.

قديماً إستطاعت هذه المدن استيعاب سكانها على مختلف أنشطتهم المختلفة التي يغلب عليها حرفة الزراعة والري. ونتيجة للزيادة السكانية المتنامية وتطور المستوي المعيشي ورقي الخدمات التعليمية والصحية والإدارية والإقتصادية أخذت هذه المدن تتوسع بشكل يومي على حساب الأراضي الهامشية وظهيرها الزراعي المنتج المحيط بها، فظهر طراز جديد من المراكز الحضرية وسط مجتمع يغلب عليه الطابع الريفي

والبدوي حيث ظهرت بؤر حضرية وسط أرياف الإقليم وهو نمط ثالث من المراكز العمرانية لا هو بالمدينة تماماً ولا هو ريف خالص يجمع بين أرقى الجامعات والمعاهد العليا ومراكز الحاسوب والإنترنت وأوفر الأراضي المنتجة. فنجم عن هذا الوضع الجديد العديد من المشكلات والتعقيدات والمفارقات التي تمثل صراعاً بين الريف المحافظ والمدنية المتنامية يظهر إجتماعياً بوضوح بين الأصول الريفية البدوية وما يفرضه التمدين الحديث من علاقات متشابكة يغلب عليها الطابع المادي والتجاري.

والسؤال الذي يطرح نفسه أمام زحف المدن على الأراضي الهامشية وظهيرها المنتج : هل سيقضي التطور السريع للتمدين والتحضر على الطابع الريفي (الزراعي والرعوي) وتتحول تلك المراكز الحضرية الريفية مستقبلاً إلى مدن عصرية على الطراز الغربي الحديث أم تنتصر أصول الريف وصرخات حماة البيئة وتعود ديمومة الخضرة وتدعيم الأرض الذي يعني استخدامها في حدود قدراتها الإنتاجية والتخطيط التنموي السليم للمستقبل. فالمدينة التي نبنيها اليوم تعيد بناءنا وتشكيلنا من جديد مستقبلاً ديمغرافياً وإجتماعياً وإقتصادياً.

المصادر والمراجع

أولاً :المصادر والتقارير الرسمية

1- الجماهيرية، بلدية زليتن، أمانة المرافق، شركة بولسيرفس البلندية، تقرير المخطط الشامل للتطوير لسنة 2000، رقم ط ن – 53، زليتن.

2- الجماهيرية، بلدية مصراته، أمانة المرافق، شركة بولسيرفس البلندية، تقرير المخطط الشامل للتطوير لسنة 2000، رقم ط ن – 46، مصراته.

3- الجماهيرية، بلدية الخمس، أمانة المرافق، شركة بولسيرفس البلندية، تقرير المخطط الشامل للتطوير لسنة 2000، رقم ط ن – 33، الخمس.

4- الجمهورية العربية الليبية، وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي، تقرير عن دراسة الشريط الساحلي من الحدود التونسية حتى مصراته، رقم (1)، طرابلس، 1974 ف.

5- الجماهيرية، أمانة الاستصلاح الزراعي وتعمير الأراضي، تقرير عن دراسة إجتماعية وإقتصادية للمواطنين بالشريط الساحلي، طرابلس، 1980 ف.

6- الجماهيرية، مركز البيروني للإستشعار عن بعد، تقرير رقمي البيئة الطبيعية لإقليم مصراتة مدعوماً بالصورة الفضائية المأخودة لقطاع من الإقليم بواسطة الأقمار الاصطناعية لسنتي 1987 – 1996 ف، إعداد المهندس : عبد الحكيم خماج.

7- الجماهيرية، أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج التعداد العام للسكان ببلديات الخمس وزليتن ومصراته لعام 1984 ف، طرابلس.

ثانياً : الكتب

8- الجماهيرية، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلسي الوطني، الطبعة الأولى، طرابلس، 1978 ف.

9- الحجاجي، سالم علي، ليبيا الجديدة، الطبعة الثانية، مؤسسة السريعة، طرابلس، 1970 ف.

10- شرف، عبد العزيز طريح، جغرافية ليبيا، الطبعة الثالثة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1995 ف.

ثالثاُ : الرسائل العلمية

11- البوزيدي، إمحمد محمد، مشاريع الإستيطان الزراعي في السهول الساحلية من الدافنية إلى غنيمة (شرق طرابلس ليبيا)، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم والإنسانية، الرباط، 1988 ف.

رابعاً : المؤتمرات والندوات

12- جامعة الدول العربية، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، إكساد، دورة تدريبية قومية حول التقنيات الحديثة لمراقبة ومكافحة التصحر، طرابلس ليبيا، 27 – 30 / 10 / 1997 ف.